جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا
المجـــلة العلميـــة

الوسيلة بين المجيزين والمانعين

إعداد

أ.د/ سعد خلف عبد الوهاب

أستاذ العقيدة والفلسفة ــ كلية البنات بسوهاج

جامعة الأزهر

(العدد الثامن عشر ٢٠٢١م)

الوسيلة بين المجيزين والمانعين

سعد خلف عبدالوهاب عبد الله.
قسم العقيدة والفلسفة، كلية: الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج، الجامعة: الأزهر، المدينة: سوهاج، الدولة: مصر.
البريد الإلكتروني: saadwahab.79@azhar.edu.eg

ملخص البحث:
التوسل نوع من أنواع الدعاء والتقرب إلى الله، والزلفى وحسن المآب إليه، وظل الصحابة طوال حياة النبي صلى الله عليه وسلم متوسلين به في جميع حياتهم وبعد انتقاله، الوسيلة المنزلة عند الملك ، والوسيلة الدرجة ، والوسيلة تطلق على القربة، وهي كل ما يتوسل به ،أي يتقرب به العبد من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك، واتفق العلماء على أن التوسل بصفات الله تعالي، والتوسل بالأعمال الصالحة، والتوسل بالنبي في حياته، وأنكر جمع من العلماء عدم التوسل بالذوات الميتة ، وعللوا فعل عمر رضي الله عنه بالتوسل بعم النبي صلى الله عليه وسلم بأنه تصرف فردي لا تبنى عليه عقيدة.

الكلمات المفتاحية: التوسل، الوسيلة، الدرجة، القربة، المنزلة.

The means between the allowers and the preventers

Saad Khalaf Abdulwahab Abdullah.

Department of: Faith and Philosophy, College: Islamic and Arabic Studies for Girls, Sohag, University: Al-Azhar, City: Sohag, Country: Egypt.

E-mail: saadwahab.79@azhar.edu.eg

Abstract:

Tawassul is a type of supplication and drawing close to God, and the approach is good for him, and the companions remained throughout the life of the Prophet, may God bless him and grant him peace, begging for him throughout their lives and after his passing. That is, by means of which the slave draws close to kinship, favour, or other than that, and the scholars agreed that begging for the attributes of God Almighty, and begging for good deeds, and begging for the Prophet during his life, and a group of scholars denied the lack of begging for dead souls, and they justified the act of Omar, may God be pleased with him, by begging the uncle of the Prophet, may God bless him and grant him peace. And he, peace be upon him, is an individual act that is not based on a belief.

Keywords: Supplication, Means, Degree, Proximity, Status.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمدًا يليق بذاته وصفاته وأفعاله وأصلي وأسلم على رسول الله : .

أما بعد

فإن التوسل نوع من أنواع الدعاء والتقرب الى الله والزلفى وحسن المآب إليه، والتوسل في الأمم السابقة كان مشروعًا بالأنبياء والاستغاثة بهم والاستشفاع بأهل التقوى والصلاح ، وطلب الدعاء منهم ، وظل الناس على هذا الاعتقاد في فترات انقطاع الوحي وخلو الزمان من رسل وأنبياء، فكان توسلهم بالعباد والنساك، وشد الرحال اليهم، والجلوس بين أيديهم، وفي صوامعهم، والتبرك بأماكن تعبدهم، وإيمانهم بأنهم طوق النجاة ووسائل قبول الدعاء حتى جاء الرسول : بدعوة الاسلام ونزل القرآن الكريم عليه : داعيا الى الصلاح والتقوى، والتقرب إلى الله بالأعمال الصالحة، وابتغاء الوسيلة والزلفى الى الله ورسوله، وقد ظل الصحابة رضوان الله عليهم طوال حياة النبي : متوسلين برسول الله : في جميع حياتهم، وبعد انتقاله توسلوا بآل بيته الأطهار وجاء عصر التابعين وتابع التابعين والأمر في الوسيلة على ماكان عليه الرعيل الأول، إلى أن ظهر الجدل الكلامي ودخل كثير من أرباب الديانات الأخرى في الاسلام، حيث كثر الكلام في الذات والصفات، ومسائل الجبر والاختيار، وظهور فِرق التجسيم والتشبيه القائلون بالتجسيم والتشبيه ،والمقدمون للاستدلالات العقلية على النقلية، فظهر فريق يقول بمنع التوسل بالرسول : بعد انتقاله، واستدلوا بأدلة كثيرة لكن ماعليه السواد الأعظم من أمة الاسلام جواز التوسل بالنبي : في حياته، وبعد انتقاله ولا خلاف بينهم أيضا في جواز التوسل بالأعمال الصالحة .

وبين طيات صفحات البحث سنتناول أدلة المجيزين والمانعين . وفيما يلي الحديث عن التوسل لغةً واصطلاحاً:

الوسيلة لغة : وسل : والوسيلة المنزلة عند الملك ، والوسيلة الدرجة ، والوسيلة من: وسل فلان الى الله جل جلاله وسيلة إذا عمل عملا تقرب به الى الله تعالى، وتوسل اليه بكذا وفي مفردات القرآن (وسل) أي التوصل الى الشي برغبة ، وهي أخص من الوصيلة لتضمنها معنى الرغبة قال تعالى :(وابتغوا اليه الوسيلة) قال الراغب : أن حقيقة الوسيلة إلى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم والعبادة ، وتحو ى مكارم الشريعة ، وهي كاالقربة ، والواسل الراغب الى الله تعالى [1] والوسائل والتوسل والوسيلة بمعنى واحد.

وفي مختار الصحاح الوسيلة مايتقرب به الي الغير والجمع الوسيل والوسائل والتوسيل والتوسل ، وكلها معاني تؤدي معنى واحد .

وقيل أيضًا : في الاطلاقات اللغوية أن التوسل ، والتوجه ، والتشفع والاستفتاح ، والاستغاثة ، الفاظ متقاربة في المعنى متحدة في الاستعمال حيث إن الوسيلة طلب حصول منفعة ، أو اندفاع مضرة من الله لذكر اسم نبي أو ولي تشفعا به.[2]

لذلك قيل في الشفاعة أنها الوسيلة ، والاستعانة وقيل في الوسيلة إنها الشفاعة ، وبناءً عليه تعرف الشفاعة بالوسيلة وهي لفظة عامة أوجنس تطلق ويراد بها معاني

---

(١) مختار الصحاح ماده . و س ل ، ج٢ ، ص١٢٨ ، محمد ابن ابي بكر الرازي ، مكتبه لبنان.

(٢) للمزيد من الاطلاع راجع تاج العروس للزبيدي صج ٣١ ص ٧٥ دار الهداية والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير ج ٢ ص ٦٦٠ طبعة ثانية احمد ين محمد بن علي الفيومي المقري حققه عبد العظيم الشناوي

كثيرة ، وحقيقتها مراعاة طرق الوصول الى الله بأهل الصلاح والتقوى أو بالاعمال الصالحة .

الوسيلة اصطلاحاً:

كل مايتوسل به العبد اي يتقرب به من قربة او صنيعة أو غير ذلك إلى الله .. فاستعيرت الوسيلة كناية عن التقرب والزلفى الى الله من خلال فعل الطاعات وترك المنكرات واجتناب المعاصي.

وقيل أيضاً: الوسيلة القربي الى الله بفعل الطعات واجتناب المنكرات وهي فعيلة بمعني مفعولة، أي المتوسلة بها الى الله بالطاعة .

وهذا التعريف يؤيد جواز التوسل بالأعمال الصالحة .

وقيل أيضا: الوسيلة ما يراد بها ما يبلغ به العبد الي الله جل وعلا بواسطة . والبلوغ الي الله ليس بلوغ مسافه انما هو بلوغ زلفي ورضا بسبب أو بغير سبب . والتعريف في الوسيلة لهذه الطريقة تعريف الجنس، اي كل ما تعلمون انه يقربكم الي الله ،اي ينيلكم رضاه وقبول أعمالكم لديه . فالوسيله ما سقرب العبد من الله بالعمل بأوامره واجتناب نواهيه [1] .

الوسيلة في القرآن الكريم :

فسر السلف الصالح وأئمة التفسير الآيتين الكريمتين اللتين وردتا فيهما لفظة "الوسيلة"، وهما قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [2] وقوله سبحانه: { أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (ص١٢٣ ج٢).

(٢) سورة المائدة ، من الآية ٣٥ .

مَحْذُورًا } [١].

فأما الآية الأولى، فقد قال إمام المفسرين الحافظ ابن جرير رحمه الله في تفسيرها: "يأيها الذين صدَّقوا الله ورسوله فيما أخبرهم، ووعد من الثواب، وأوعد من إليه الوسيلة" يقول: واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه [٢]

ونقل الحافظ ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن: معنى الوسيلة فيها القربة، ونقل مثل ذلك عن مجاهد وأبي وائل والحسن وعبد الله بن كثير والسدي وابن زيد وغير واحد، ونقل عن قتادة قوله فيها: "أي تقربوا إليه بطاعته، والعمل بما يرضيه" ثم قال ابن كثير: "وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه .. والوسيلة هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود" [٣]

وقال الشوكاني في (فتح القدير) ان الوسيلة هي القربة وهي تصدق على التقوى وعلى غيرها من خصال الخير التي يتقرب بها العباد بها إلى ربهم [٤]

وقال السيوطي في (الدر المنثور) الوسيلة في الآية القربة وهذا قول أبي حاتم وذكر قول قتادة وعن أبي وائل قال : الإيمان.[٥]

وبناءً عليه ذكر السيوطي أن الوسيلة في الآية لها معنيان : القربة، والإيمان.

---

(١) سورة الأسراء الآية :٥٦

(٢) تفسير ابن جرير الطبري المسمى بجامع البيان في تأويل القران ج١٠ ص٢٩٠ للإمام محمد ابن جرير ابن يزيد ابن كثير المعروف بابي جعفر الطبري

(٣) تفسير القران العظيم ج ٢/ ١١٣ لابن كثير طبعة ثانية دار الكتب العلمية بيروت

(٤) فتح القدير الجامع لبن فني الرواية والدراية من علم التفسير ج٢ ص ٤٥ محمد بن علي بن محمد بن علد الله الشوكاني اليمني طلعة اولى دار المعرفة بيروت

(٥) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٣/ ص٧١ للامام السيوطي طبعة دار الفكر بيروت

وأما الآية الثانية :

فقد بين الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – مناسبة نزولها التي توضح معناها فقال: "نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن، فأسلم الجنيون، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون"(١)

وبناء عليه فأن المراد بالوسيلة ما يتقرب به إلى الله تعالى، ولذلك قال: "يبتغون" أي يطلبون ما يتقربون به إلى الله تعالى من الأعمال الصالحة، وهي كذلك تشير إلى هذه الظاهرة الغريبة المخالفة لكل تفكير سليم، ظاهره أن يتوجه بعض الناس بعبادتهم ودعائهم إلى بعض عباد الله، يخافونهم ويرجونهم، مع أن هؤلاء العباد المعبودين قد أعلنوا إسلامهم، وأقروا لله بعبوديتهم، وأخذوا يتسابقون في التقرب إليه سبحانه، بالأعمال الصالحة التي يحبها ويرضاها، ويطمعون في رحمته، ويخافون من عقابه، فهو سبحانه يُسَفه في هذه الآية أحلام أولئك الجاهلين الذين عبدوا الجن، واستمروا على عبادتهم مع أنهم مخلوقون عابدون له سبحانه، وضعفاء مثلهم، لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا، وينكر الله عليهم عدم توجيههم بالعبادة إليه وحده، تبارك وتعالى، وهو الذي يملك وحده الضر والنفع، وبيده وحده مقادير كل شيء وهو المهيمن على كل شيء (٢).

هنالك مسائل في التوسل اتفق العلماء علي مشروعاتيها ، ومسائل اخري اختلفوا فيها ، وبما ان غايه هذا البحث هو التوصل الي القاسم المشترك بين الاراء ، لذا ساختصر المقال في التوسل المتفق عليه ، وأسهب في المسائل الخلافية لعلنا نصل الي نتيجه ترضي جميع الأطراف .

---

(١) تفسير ابن كثير ، الجزء الأول ، ص٤١٥ .

(٢) التوسل انواعه واحكامه ص١٣ ، نالصر الدين الألباني ، نشر دار الحكمه.

ما اتفق عليه العلماء من وسائل الوسيلة نجملها فيما يأتي:

أولا : التوسل بصفات الله تعالي وصيغته أن يقول : اللهم انـي اسـألك برحمتـك ومغفرتك وإحسانك وغيرها من الصفات كما كان يقعـل الرسـول : ، ففـي الحـديث الشريف عن بن مسعود رضي الله عنه قال : كان رسول الله : اذا نزل به هـم أو غـم قال: يا حي يا قيوم برحمتك استغيث [١].

وهذا النوع لا يختلف عليه اثنان وذلك لورود الأحاديـث الصـحيحة ، فقـد روي أن الرسول :، علم ابنته فاطمة رضي الله عنها ، أن تقول : يا حـي يـا قيـوم يـا بـديع السماوات والارض لا إله إلا أنت برحمتك استغيث، ونقل هذا الحديث ابن تيميه رحمـه الله ، واستحسنه [٢].

ثانيا : التوسل بالأعمال الصالحه :

أجمع العلماء علي جواز التوسل الي الله تعالى بالأعمال الصالحة التي يعملها الإنسان متقربا بها إلي الله تعالى واستندوا علي ذلك من الكتاب والسنه، فمن الكتاب قوله تعالى: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ)[٣]

وقد ذهب بعض المفسرين إلي إن الوسيله المذكوره في الآية تطلـق علـي الأعمـال الصالحه وقد ذكر القرآن الكريم في أكثر من آية موجها المؤمنين عند الدعاء أن يذكروا الأعمال الصالحة لتكون وسيلة الطلب من الله تعالى قال تعـالى : (إِيَّـاكَ نَعْبُـدُ وَإِيَّـاكَ

---

(١) المستدرك علـى الصـحيحين ج١/ص٦٨٩ الحـاكم النيسـابوري، دار الكتـب العلميـة بيروت.

(٢) الأحاديث المختارة ، لأحمد الحنبلي المقدسي، ج٦/ص٣٠٠ ، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة.

(٣) سبق الاشارة اليها .

نَسْتَعِينُ . اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) [1] فقد قدم ذكر الاعمال الصالحة ،ثم تلي ذلك بالدعاء كما في قوله تعالى: (الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)[2]

فأما السنه :

فقد اتفق معظم العلماء فيها علي مشروعية التوسل بألاعمال الصالحة حيث ورد في الحديث عن رسول الله : أنه قال :«انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَتَّى آوَاهُمُ الْمَبِيتُ إِلَى غَارٍ، فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، قَالَ رجلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا، فَنَأَى بِي طَلَبُ الشَّجَرِ يَوْمًا، فَلَمْ أَرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا، فَوَجَدْتُهُما نَائِمَينِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَأَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ، والْقَدَحُ عَلَى يَدِي، أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرِقَ الفَجْرُ، والصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ، فاسْتَيْقَظَا، فَشَرِبا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلكَ ابتِغَاء وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هذِهِ الصَّخْرَةِ، فانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهُ.

قَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كانَتْ لِيَ ابْنَةُ عَمَّ، كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ – وفي رواية: كُنْتُ أُحِبُّهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ – فَأَرَدْتُهَا عَلَى نَفْسِهَا، فامْتَنَعَتْ مِنِّي، حَتَّى أَلَمَّتْ بها سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءتْنِي، فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِئَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفعَلَتْ، حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا – وفي رواية: فَلَمَّا قَعَدْتُ بَينَ رِجْلَيْهَا – قالتْ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَانصرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيتُها، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فيهِ، فانْفَرَجَتِ

(١) سورة الفاتحة ٤-٥

(٢) آل عمران الاية ١٦

الصَّخْرَةُ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا.

وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ، وأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غيرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنهُ الْأَمْوَالُ، فَجَاءنِي بَعدَ حِينٍ، فَقَالَ: يَا عبدَالله، أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ: مِنَ الْإِبِلِ، وَالبَقَرِ، والْغَنَمِ، والرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَالله، لَا تَسْتَهْزِئْ بِي، فَقُلْتُ: لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ، فاسْتَاقَهُ، فَلَمْ يترُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابتِغَاءَ وَجْهِكَ، فافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ»؛ متفق عليه [1] .

وهذا النوع من التوسل لا يختلف عليه أحد من العلماء .

التوسل بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حياته :

التوسل بالنبي : في حياته بأن نطلب الدعاء منه في الدنيا والشفاعة في الآخرة وقد ثبت ذلك بالتواتر، وقد كان الصحابه الكرام رضي الله عنهم يسئلون النبي : في الأمور الدنيوية والاخروية وقد ارشدهم القرأن الكريم إلي ذلك وقال تعالى وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ تعالي وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا (٦٤)

وكذلك في طلب الحاجات الحياتية فعن عثمان بن حنيف (رضي الله عنه) أن رجل ضرير البصر اتي النبي : وقال ادعو الله أن يعافيني قال إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك قال فأدعوه قال فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء : اللهم إني أسئلك وأتوجه إليك بنبيك محمد : نبي الرحمة إني توجهت بك إلي ربي بحاجاتي هذه لتقضي لي أللهم فشفعه في [2]

(١) صحيح البخاري كتاب الأدب جزء ٥ ص ٢٢٢٧.

(٢) سنن الترمزي جزء ٥ ص ٣٥٧ .

وفي مسند الإمام احمد [١] قال ففعل الرجل فبرء.

والتوسل بالنبي علي هذ المعني هو الإيمان به ومحبته وذلك كأن يقول: (أسئلك بنبيك محمد ويريد إني أسئلك بايماني به، وبمحبته، وأتوسل إليك بايماني به ومحبته ونحو ذلك)[٢].

التوسل المختلف فيه :

هناك جمله مسائل في التوسل اختلف العلماء في مشروعيتها واختلافهم اختلافا فقهيا ولم يكن اختلاف عقدي ، وهذا ما سيتضح فيما يلي :

أولا: التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ولادته :

أثبت بعض العلماء ورود التوسل بالنبي : قبل ولادته واستدلوا بقوله تعالى في الآية: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [٣] .

قال ابن جرير الطبري في تفسيره لهذه الاية : "الاستفتاح "الاستنصار يستنصرون الله به على مشركي العرب من قبل مبعثه ، أي قبل أن يبعث رسول :...وذكر الطبري الحديث الذي رواه ابن عباس " أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه [٤]

قال القرطبي في تفسيره إنهم كانوا من قبل يستفتحون في تفسيره لقوله تعالى اي يسنصرون والاستفتاح الاستنصار حيث أن أهل الكتاب كانوا يستنصرون علي المشركين

---

(١) مسند احمد بن حنبل جزء ٤ ص١٣٨ .

(٢) انظر الموسوه الفقيه جزء ١٤ص ١٥٦ دار المعرفه.

(٣) سوره البقره ، الأيه ٨٩ .

(٤) تفسير الطبري ج٢/ص٣٣٢ مرجع سابق

ويقولون : اللهم انصرنا بنبي اخر الزمان المنعوت في االتوراه" [١]

والاستنصار بالدعاء وارد في سنة الحبيب : وهو وسيلة لجلب الخير والنفع للعبد روى النسائي عن ابي سعيد الخدري أن النبي : قال :" إنَّما يَنصرُ اللَّهُ هذِهِ الأمَّةَ بضَعفائِها، بدَعوتِهِم وصَلاتِهِم ، وإخلاصِهِم"[٢]

وهذا دليل على جواز التوسل بالصالحين لأنهم أشد إخلاصا في الدعاء ، وأكثر خشوعا في العبادة ، والضعفاء الذين دل عليهم الحديث هم أهل العاهات المستديمة الراضون بقضاء الله وقدره الذين ليس لهم طمعا في الدنيا ولا في بهجتها ولا زخارفها، الذي عناهم الرسول بقوله "رُبَّ أشعثَ أغبرَ ذي طِمرَينِ ، مُصفَحٌ عن أبوابِ النَّاسِ ، لو أقسمَ على اللهِ لأَبرهَّ[٣]

هم أهل الزهد والاخلاص والورع الذين يخافون الله ويراقبونه ويتقوه ويخشونه، الذين تخلوا عن الرزائل ، وتحلوا بالفضائل أهل الله وخاصته

أدلة السنة على جواز التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم

ومن السنة: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله : لما اقترف آدم الخطيئة قال: "يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟! قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك، ونفخت في من روحك، رفعت رأسي، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك"[٤].

(١) تفسير القرطبي جزء٣ ص٤٠٧ وتفسير البيضاوي جزء ١ ص ٣٥٩ .

(٢) اخرجه الطبراني في المعجم الكبير ج ١/،ص٢٨٢/ رقم ٨٥٧

(٣) اخرجه البخاري رقم الحديث ٢٧٠٣

(٤) كنز العمال في سنن الاقوال والافعال جزء ١١ ص ٢٠٦ علاء الدين علي الهندي نشر دار الكتب العلميه بيروت طبعه اولي .

أدلة المانعين :

منع ابن تيمية – رحمه الله – ومن تبعه التوسل بالنبي : قبل ولادته وقال إن هذا لا يعني التوسل بالنبي وإنما يكون معني الآية: أن اليهود كانوا يقولون للمشركين سوف يبعث هذا النبي فنقاتلكم معه فنقتلكم ولم يكونوا يقسمون علي الله بذاته : ولا يسئلون به ولا يقولون اللهم ابعث هذا النبي الأمي ونقتلكم هذا هو النقل الثابت عند أهل التفسير أن الاستفتاح يعني الاستنصار وهو طلب الفتح والنصر وطعن ابن تيمية في الحديث سالف الذكر حيث قال : عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روي عن أبيه احاديث موضوعيه(١).

التوسل بالنبي : بعد وفاته :

اختلف العلماء حول جواز التوسل بالنبي : بعد وفاته كقول القائل : اللهم اني أسألك بنبيك محمد: أو بجاه نبيك ، أو بحق نبيك على أقوال نذكر منها :

أولا : من أجاز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ، لأن التوسل يكون بالرتبة لا بالذات ، أي برتبة النبوة التي لا تتبدل بعد الموت واستدلوا على ذلك بالأدلـــة الآتية :

١-كان أبو بك ا لصديق رضي الله عنه اذا بعث جندا الى أهل الردة خرج ليشيعهم، وخرج بالعباس معه قال ياعباس استنصر وأنا أؤمن فإني أرجو ان لا يخيب الله دعوتك لمكانك من نبي الله صلى الله عليه وسلم "

٢- قال العتبي رحمه الله حج اعرابي الى مسجد رسول الله : وأناخ راحلته عند الباب فعلقها ثم دخل المسجد حتى أتى القبر ووقف بحذاء وجه الرسول : فقال بأبي أنت

(١) مجموعة رسائل وفتاوى ابن تيمية ج ١ ص ٢٩٦ الطبعة الثانية مكتبة ابن تيمية.

وأمي يارسول جئتك مثقلا بالذنوب والخطايا مستشفعا بك على ربك لأنه قال في محكم تنزيله: (و ما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لو جدوا الله توابا رحيما) [1]وقد جئتك بابي أنت وأمي مثقلا بالذنوب والخطايا ،استشفع بك على ربك أن يغفر لي ذنوبي وأن تشفع في ثم أقبل في عرض الناس وهو يقول :

يا خير من دفنت في التراب أعظمه ****** فطاب من طيبهن القاع والأكم.

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف ، وفيه الجود ، والكرم .

ثم انصرف الأعرابي يقول: فغلبتني عيني فنمت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال :ياعتبي ،الحق الاعرابي فبشره أن الله قد غفر له .

وذكر الامام النووي هذه الحكاية وقال: أن اصحاب الشافعي رحمه الله قد استحسنوا ذلك وحكوه عن غيرهم وافاد شمول الاية للحياة والممات ، وانه يستشفع به الى ربه .

موقف بعض العلماء من هذه الرواية :

أنكر ابن أبي العز (رحمه الله)هذه القصة ،لكنه أقر بمعنى الأبيات الذي تحويه اذ قال هذه حكاية باطلة وأما البيت فمعناه صحيح.

وقال ابن تيمية : قول القائل: " أسألك بنبيك محمد :" على انه أراد أني أسألك بايماني به ، ومحبته واتوسل اليك بايماني به وبمحبته من أراد هذا المعنى فهو مصيب قي ذلك بلا نزاع ، وإذا حمل هذا المعنى كلام من توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد مماته من السلف ،كما نقل عن بعض الصحابة والتابعين وعن الامام أحمد وغيره كان هذا حسناً ، وحين أذن لا يكون في المسألة نزاع [2].

(١) النساء ٦٤ .

(٢) شعب الإيمان ، ج٣/ص٤٩٥ أبو بكر البيهقي، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١.

وان الصحابة أرادوا التوسل به التوسل بدعائه وشفاعته ، وهذا جائز بلا نزاع .وان ابن تيمية رحمه الله لم يثبت أنه حرم هذه المسألة ، ولم يسجل له اعتراض في كتبه وكذلك جمهور العلماء على الاباحة لا المنع .

على ان التوسل بالنبي : جائز بعد مماته لوجود الأحاديث الصحيحة المجوزة لذلك ومنها استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنهما ويقف ويدعو ووجه الى القبر لا الى القبلة ويدنوا ويسلم ولا يمس القبر بيده .

وما ذهب اليه أهل العلم أيضا نذكر منهم الامام الالوسي : الذي قال : وإني لا أرى بأسا في التوسل الى الله تعالى بجاه النبي : حيا وميتا ، ويرادمن الجاه معنى يرجع الى صفة من صفاته تعالى، مثل أن يراد به المحبة التامة المستدعية عدم رده وقبول شفاعته ، فيكون معنى قول القائل : الهي أتوسل بجاه نبيك : أن تقضي لي حاجتي الهي أجعل محبتك له وسيلة في قضاء حاجتي ، ولا فرق بين هذا الهي أتوسل برحمتك ان تفعل كذا.(١)

وبناءا على ما سبق عرضه نصل الى جواز التوسل برسول الله :: بعد مماته والادلة على ذلك كثيرة نذكر منها :

١ــ عن أنس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس ابن عبد المطلب، فقال: "اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا: فتُسْقِيَنَا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا" قال: فَيُسْقَون(٢).

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل محمود الألوسي البغدادي ج٦/ص١٢٨، دارإحياء التراث العربي.

(٢) أنوار البروق في أنواء الفروق ، ج٣/ص٥٩ ، أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء ج١/ص٣٤١.

وقد اعترض على هذا الدليل بأنه دليل منع لا جواز يجوز التوسل بجاه النبي : عند الدعاء؛ لكون هذا لم يرد به دليل، فالتوسل بالجاه ليس من التوسل المشروع.

- لو كان التوسل بجاه النبي : مشروعاً لفعله عمر رضي الله عنه، ولم يَعْدِل عنه إلى التوسل بالعباس رضي الله عنه .ثم إنه لم يتوسل بجاه العباس رضي الله عنه وإنما توسل بدعائه.

- لعل عمر رضي الله عنه حين توسّل بالعباس عمّ رسول : أراد أن يُظهِر لأهل البيت مكانتهم. وبيّنت بعض الروايات حقيقة توسل عمر بالعباس رضي الله عنهما وأنه توسل بدعائه. ومن ذلك ما نقله الحافظ العسقلاني رحمه الله في "الفتح" حيث قال: قد بين الزبير بن بكار في "الأنساب" صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة، والوقت الذي وقع فيه ذلك، فأخرج بإسناد له أن العباس لما استسقى به عمر قال: (اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجّه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث)، قال: فَأَرْخَت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض، وعاش الناس .

١ــ التوسل إلى الله تعالى بدعاء من ترجى فيه إجابة الدعاء لصلاحه لا بأس به؛ فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتوسلون إلى الله تعالى بدعاء النبي : لهم؛ وكذلك عمر رضي الله عنه توسل بدعاء العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، فلا بأس إذا رأيت رجلاً صالحا حريا بالإجابة لكون طعامه وشرابه وملبسه، ومسكنه حلالاً، وكونه معروفاً بالعبادة والتقوى، لا بأس أن تسأله أن يدعو الله لك بما تحب، بشرط أن لا يحصل في ذلك غرور لهذا الشخص الذي طلب منه الدعاء، فإن حصل منه غرور بذلك فإنه لا يحل لك أن تقبله، لأن ذلك يضره.

٢ــ الأفضل أن الإنسان يسأل الله تعالى بنفسه؛ دون أن يجعل له واسطة بينه وبين الله، وأن ذلك أقوى في الرجاء، وأقرب إلى الخشية.

٣ – إنّ طريقة توسل الأصحاب الكرام بالنبي : إنما كانت إذا رغبوا في قضاء حاجة، أو كشف نازلة أن يذهبوا إليه : ، ويطلبوا منه مباشرة أن يدعو لهم ربه، أي أنهم كانوا يتوسلون إلى الله تعالى بدعاء الرسول الكريم : ليس غير .فلم يكونوا إذا أجدبوا وقحَطوا قبع كل منهم في داره، أو مكان آخر، أو اجتمعوا دون أن يكون معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم دعوا ربهم قائلين: (اللهم بنبيك محمد، وحرمته عندك، ومكانته لديك اسقنا الغيث). فلا وجود لهذا إطلاقاً في السنة النبوية الشريفة، وفي عمل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، ولا يستطيع أحد أن يأت بدليل يثبت أن طريقة توسلهم كانت بأن يذكروا في أدعيتهم اسم النبي : ، ويطلبوا من الله بحقه، وقدره عنده ما يريدون .

وهذا غير صحيح لأن رسول الله : حي بيننا تعرض أعمالنا عليه فإن كانت خيرا حمد الله وإن كانت غير ذلك استغفر لنا الله تعالى فهو الرحيم في الدنيا الشفيع في الاخرة .

وعن عثمان بن حنيف : أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان في حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي عثمان بن حنيف فشكا ذلك إليه فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد : نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فيقضي لي حاجتي، وتذكر حاجتك ورح إلي حين أروح معك، فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثم أتى باب عثمان فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان فأجلسه معه على الطنفسة وقال: حاجتك فذكر حاجته فقضاها له ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة، وقال: ما كانت لك من حاجة فأتنا، ثم إن الرجل خرج من عنده فلقى عثمان بن حنيف فقال له: جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلي حتى كلمته في، فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته، ولكن شهدت رسول الله : وأتاه رجل ضرير فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له النبي : : تصبر فقال: يا

رسول الله إنه ليس لي قائد، وقد شق علي، فقال له النبي :: ائت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم ادع بهذه الكلمات، فقال عثمان بن حنيف: فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل عليه الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط، قلت روى الترمذي وابن ماجه طرفاً من آخره خالياً عن القصة، وقد قال الطبراني عقبه: والحديث صحيح بعد ذكر طرقه التي روى بها.(١)

هذه القصة ضعفها الألباني في التوسل، وأطال الكلام فيها، وذكر أن الطبراني لم يصحح القصة، وإنما صحح الحديث فقط، ثم قال الألباني : وخلاصة القول: إن هذه القصة ضعيفة منكرة، لأمور ثلاثة: ضعف حفظ المتفرد بها، والاختلاف عليه فيها، ومخالفته للثقات الذين لم يذكروها في الحديث، وأمر واحد من هذه الأمور كاف لإسقاط هذه القصة، فكيف بها مجتمعة.

لكن رأينا كثيراً من العلماء من يأخذ بها نذكر منهم الشوكاني رحمه الله حيث قال:(وفي الحديث دليل على جواز التوسل برسول الله مع اعتقاد ان الفاعل هو الله، وانه المعطي المانع ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن .

أدلة المانعين :

أنكر جمع من العلماء عدم التوسل بالذوات الميتة ، وعللوا فعل عمر رضي الله عنه بالتوسل بعم النبي : بأنه تصرف فردي لا تبنى عليه عقيدة ومن هؤلاء .

١ــ العز بن عبد السلام حيث قال:" لايجوز التوسل بالذوات الميتة الا بالنبي ان صح حديث الاعمى .

٢- وحكى ابن تيمية عن عدم الجواز من قبل طائفة انكرت جواز التوسل بالنبي بعد مماته وقول عمر دليل على عدم جواز التوسل بالاموات (٢).

(١) المعجم الكبير ، ج٩/ص٣٠ للطبراني ، مكتبة الزهراء .

(٢) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، ج١/ص٢١٢، للشوكاني.

٣_ ابن تيمية قال بصحة سند حديث الاعمى لكنه شكك في متن الحديث واتبع القاعدة الاصولية التي تقول ان فعل الصحابي يختلف عن اجماع الصحابة ،ففعل الصحابي ليس بحجة بينما اجماعهم يعتبر حجة ، وقول الصحابي لايثبت شريعة فمن باب أولى لا يثبت عقيدة (١)

٤ــ كما ان فعل الصحابي الذي لا نص فيه اجتهاد منه عند التنازع يرد الى الله والرسول صلى الله عليه وسلم .

٥ــ واضاف ابن تيمية ان الاستغاثة بالمخلوق دعاء له .

تعقيب :

تبين مما سبق عرضه ان التوسل امر مختلف فيه بين العلماء مابين اتفاق منهم على أشياء ،واختلاف منهم على أخرى، فاتفقوا على جواز التوسل بالأعمال الصالحة واختلفوا قي التوسل لمن مات فريق أجاز وفريق منع وتم عرض وجهة نظر كل فريق.

والصحيح جواز التوسل برسول الله : حيا كانا أو منتقلا.

(١) انظر رسائل وفتاوى ابن تيمية ج٢٧/ص٨٥، دار الكتب العلمية – بيروت.

الخاتمة

من خلال ما سبق عرضه نستنتج الآتي:

١.أن التوسل مباح في شريعة الاسلام مع الاعتدال وعدم الغلو فيه ،

٢.أن التوسل دعاء ورجاء من العبد لربه طلبا للرضى والزلفى.

٣.أن استسقاء عمر بعم النبي : : دليل جواز لا منع.

٤.أن النبي : لا يقاس بغيره فهو رسولنا ومعنا دنيا واخرى.

٥.الخلاف حول من أجاز ومن منع خلاف لفظي اجتهادي .

٦. أن التوسل بالعباس رضي الله عنه دليل جواز على التوسل عند جمهور العلماء.

٧. الخلاف بين المجيزين والمانعين حول التوسل خلاف اجتهادي لايفسد للود قضية بين العلماء فلكل وجهته التي يوليها ولكل دليله .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة .	٤٢٢
التوسل لغة واصطلاحًا.	٤٢٣
الوسيلة في القرآن الكريم .	٤٢٤
ما اتفق عليه العلماء من وسائل الوسيلة.	٤٢٧
التوسل بصفات الله تعالى.	٤٢٧
التوسل بالأعمال الصالحه.	٤٢٧
التوسل بالنبي في حياته .	٤٢٩
التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ولادته .	٤٣٠
أدلة السنة على جواز التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم .	٤٣١
التوسل بالنبي : بعد وفاته .	٤٣٢
تعقيب.	٤٣٨
الخاتمة.	٤٣٩
فهرس الموضوعات.	٤٤٠